

التحولات الاقتصادية في المدن وخطر التهميش الاجتماعي!

وليد الزامل



@waleed_zm

مشاهير وسائل التواصل مخالفون! ومنتخبون!

أحمد صالح خلي

ahmad.s.a@hotmail.com

عزف الاقتصادي الألماني أندرياس كابلان، والكاتب البريطاني مايكل هانلن، وسائل الإعلام الاجتماعية بأنها «مجموعة من تطبيقات الإنترنت التي تبني على أسس الأيديولوجية والتكنولوجيا من الويب، والتي تسمح بإنشاء وتبادل المحتوى الذي ينشئه المستخدمون.»

ومن خلال قراءتي لتعريفات وسائل التواصل الاجتماعي، أو ما يعرف بوسائل الإعلام الاجتماعي، لم أجد تعريفاً بشير إلى أنها وسائل للإعلان، فهي كما عرفت عبارة عن «قذرة كبيرة للتواصل من خلال الشبكة العنكبوتية بشكل تفاعلي أكبر من السابق.»

وإن مكنت وسائل التواصل الاجتماعي القطاعين العام والخاص من إيصال رسالتهم للمجتمع بشكل مختصر وسريع، وأتاحت الفرصة للتفاعل الحر والسريع، فإنها لم تلغ وسائل الإعلام كالمحاضرة، أو الإذاعة، أو التلفاز، فلكل وسيلة إعلامية رسالتها ودورها المؤثر لدى الأفراد.

وهذا يعني ضرورة إخضاعهم للنظام الضريبي، والزامهم بالحصول على ترخيص بمزاولة العمل الدعائي، أما عدم سدادهم الضريبة فيعني تهربهم منها، وهو ما يعني مخالفتهم أنظمة ولوائح الهيئة العامة للزكاة والدخل، ومخالفة أنظمة الهيئة بـ «عدم الإفصاح عن جميع الأنشطة التجارية.. أو إخفاء أي عنصر من عناصر الوعاء الزكوي أو الضريبي.»

مراحل الحياة تنتقل من الضعف والطفولة إلى القوة والنضج ثم الضعف والشيوخة، هذه سنة وفطرة، ولو أمعنا النظر لوجدنا تكرر هذه المراحل في كثير من الظواهر الطبيعية والاجتماعية والسياسية، ففي الجغرافيا السياسية ندرس مراحل تطور الدول على سبيل المثال الدولة في مرحلة الشباب تزدهر وتضلع للتوسع.. إلخ.

وفي حياة الأنهار هناك أيضاً مراحل تطور: الشباب، والنضج، ومرحلة الشيوخة، فحين يشيخ وادي النهر يضعف ويزيد ترسيب المواد المحمولة، لكن النهر بسبب عوامل عدة قابل للتجدد. كذلك كبار السن بحاجة لعوامل ودعم لاستمرارية حياتهم بشكل صحي وهائى، وهذا ما يتم التأكيد عليه في اليوم العالمي لكبار السن في الأول من أكتوبر لرفع الوعي تجاه احتياجات كبار السن المتنوعة من الجهات والأسر.

تختلف أحوال كبار السن حسب اختلاف الأحوال الصحية والبيئة المحيطة وطريقة التفكير والهدف الذي يعيش من أجله الشخص نفسه. فلنتفق أن ثقافة المجتمعات تحدد طريقة التفكير والنظرة تجاه التقدم في السن، ولإيضاح الفرق سأل أحدهم في حفل التقاعد عن ماذا سيفعل بحياته؟ فأجاب: الحياة تبدأ بعد سن التقاعد! وشاهدت على التلفاز امرأة سبعينية تتزلج على الجليد وتستمع! ونحن طلعو الدرج نخاف منه! ثقافة المجتمع تصنع نوعية الحياة ونمطها.

في مجتمعنا تكبر قبل أوأنا ونشيخ قبل سن الشيخوخة فيشيخ البعض وهو في الخمسين! وربما رأيت رجلاً أو امرأة بكامل النشاط والعماء، وما إن يحالا على التقاعد حتى تظهر الأمراض والقلق أو الاكتئاب عليهما! لماذا؟ كبير السن كان يوماً له دور ومسؤولية أكبر من

مفهوم التحضر من المفاهيم المعقدة في مجال التخطيط العمراني وعلم الاجتماع الحضري، ومصطلح التحضر Urbanization غالباً ما يشمل التمرکز المكاني للسكان، وثقافة المجتمعات داخل نطاق المدينة، ويشير هذا المفهوم إلى مدى الاستفادة من القدرة التراكمية للإنسان وتسخيرها للتنمية العمرانية، وبالتالي، فإن النمط الحضري يعتمد على مبدأ تبادل الخبرات أو المنافع بين الأفراد في إطار المجتمع المُعقد (المدينة). ويُعبر مجتمع المدينة عن النموذج الديناميكي القابل للتطور باستمرار بخلاف النموذج الريفي.

لقد ازادت وتيرة التحضر في العالم نتيجة الرغبة بتكوين مراكز حضرية جديدة تستجيب لمطلبات الثورة الصناعية. عملت هذه المراكز على محاولة استيعاب المهاجرين الجدد من الريف وإدخالهم في الوظائف الصناعية، وبناء مدن العمال لدمجهم ضمن إطار الحياة المدنية. لقد ساهمت الحياة الحضرية في تفكيك البنية الاجتماعية ودرجة التجانس الاجتماعي الذي كانت تتسم بها المجتمعات الريفية المهاجرة للمدن، حيث أصبح المهاجرون يتشاركون في العمل والرغبة في تطوير المستوى المعيشي.

فظهرت إعلاناتهم تتناول منتجات لا تحمل المواصفات والمعايير المعتمدة، ولا تتوافق مع الاشتراطات الصحية، وظهر ذلك في أكثر من إعلان، منها استدعاء الهيئة العامة للغذاء والدواء لإحدى «مشاهير التواصل الاجتماعي» بعد أن سوقت ادعاءات غير دقيقة تؤكد قدرة جهاز على الكشف المبكر عن سرطان الثدي.

وما تناوله بيان وزارة التجارة والهيئة العامة للغذاء والدواء التوضيحي، المنشور في 18 سبتمبر 2020، حول إعلان عن منتجات القهوة (البُن) وجودتها، حيث تبين من نتائج التحقيق أن «المادة المنشورة كانت عبارة عن إعلان مدفوع الأجر، ويعتبر هذا الإعلان مُخالفاً للمادة الحادية عشرة من نظام الغذاء، التي نصت على أنه «لا يجوز الإعلان عن الغذاء إلا بموافقة من الهيئة وفق الشروط والمتطلبات التي تحددها اللائحة»، إذ تبين عدم حصول المنشأة المُعلنة والمُعلن على ترخيص بالإعلان من الهيئة العامة للغذاء والدواء.

ورغم أن مجلس الشورى قد طالب في جلسته التي عقدت في مايو الماضي «الهيئة العامة للغذاء والدواء بسن عقوبات للحد من إعلانات المشاهير المضللة، إضافة إلى التفاعل مع ما ينشر اجتماعياً من ادعاءات طبية أو غذائية»، ما زال من يدعون مشاهير يواصلون مخالفتهم بتحسين صور المنتج واعتباره الأفضل، وهو ما يدخل ضمن قائمة الغش، الذي أوصحت وزارة التجارة أنه «الخداع في المنتج بوصفه أو عرضه أو تسويقه بمعلومات كاذبة أو خادعة أو مضللة بما يخالف حقيقته.»

واستمرار مسوقي «السوشال ميديا» في ممارسة إعلاناتهم وعدم إلزامهم بالحصول على تراخيص إعلانية كمؤسسات الدعاية والإعلان، وعدم التزامهم بضوابط الإعلان التجاري، كله من الاستمرار في مخالفتهم وفتح المجال أمام آخرين لممارسة النشاط نفسه في ظل غياب العقوبات عليهم. ولتوفر شروط «الأفراد الذين يمارسون نشاطاً اقتصادياً في المملكة»، و (تزيد إيراداتهم السنوية على 375,000 ريال)،

فهذا يعني ضرورة إخضاعهم للنظام الضريبي، والزامهم بالحصول على ترخيص بمزاولة العمل الدعائي، أما عدم سدادهم الضريبة فيعني تهربهم منها، وهو ما يعني مخالفتهم أنظمة ولوائح الهيئة العامة للزكاة والدخل، ومخالفة أنظمة الهيئة بـ «عدم الإفصاح عن جميع الأنشطة التجارية.. أو إخفاء أي عنصر من عناصر الوعاء الزكوي أو الضريبي.»

الوضع الحالي: اجتماعياً ووظيفياً، فمثلاً كان أباً مسؤولاً والأبناء استقلوا وشقوا طريقهم، وموظف له دور ومسؤوليات وصلاحيات.. إلخ. البعض من كبار السن (تصعب عليه نفسه) فالحاجة إليه قلت. هل يقدر المجتمع الخبرة المتراكمة على مر الوقت، كلما تكبر تزداد حصيلته الخبرات المتراكمة، وقليل جداً ما نستفيد منها في المجتمع. الممل والكآبة التي تلاحقهم مؤذية وهي تعد إهمالاً كبيراً، هل يجد كبار السن مكاناً يذهبون إليه، سواء للاستمتاع أو قضاء الوقت (غير المقاهي) أو حتى المشاركة بدور مجتمعي بارز، قليلة هي الفرص التي تتاح لكبار السن وتجد بعض الفاعلين بأعداد بسيطة حظيت بتقدير دور في البناء والعماء، وصنعت هدفاً تنتشده لبقية الحياة ودائرة اهتمام جديدة لهم.

القاعدة: لا أحد محصن ضد الاكتئاب في أي مرحلة عمرية، ولكن اضطرابات القلق والاكتئاب تزداد مع كبر السن على حد قول الأطباء النفسيين، فالتغيرات الاجتماعية والبيولوجية والفسولوجية والتركيبة الهرمونية، أو الوفاة المفاجئة لأحد المقربين والوحدة، كل تلك العوامل تعرضهم للاكتئاب

الحذر والانتباه من الاكتئاب أمر ضروري فأني تغير في شخصية كبار السن كالعزلة والانعزال عن الأنشطة التي يمارسونها سابقاً، والعصبية الزائدة، والقلق، والهواجس وغيرها؛ يجب ملاحظتها، هذا دون الأمراض والمشاكل الصحية التي يعاني منها البعض كالجلطات وضعف الذاكرة والزهايمر، دون أن نغفل حاجة ذوي الإعاقات من كبار السن. بالمجمل كلما تقدمنا بالعمر نكون عرضة للأمراض وأكثر ضعفاً.

السؤال هنا: هل هناك وعي كاف بأهمية الاهتمام بكبار السن؟ هل هناك أماكن كافية تدرب على

وفي المجمل، يعد التحضر وسيلة للارتقاء والإزدهار الاقتصادي للمدن، إلا أنه غالباً ما يكون مصحوباً بعدد من الإشكالات التي تأتي نتيجة عدم قدرة المدينة على الاستغلال الأمثل للموارد البشرية وتوظيفها بما يحقق المصلحة العامة.

تتزايد الإشكالات الحضرية في المدن الكبرى مثل: الجريمة، والفقير، وأزمات الإسكان. وتنشأ هذه المشاكل الحضرية نتيجة الافتقار إلى التنظيم الهرمي للمدن على المستوى الإقليمي، وغياب فعالية الخطط العمرانية، حيث تتركز الوظائف، ومراكز الأعمال، والصناعات الحيوية في المدن الكبرى، وهذا يؤدي إلى مزيد من الاستقطاب لسكان المناطق الريفية والمدن الصغيرة.

أصبح الفقراء الحضر غير قادرين على الاستجابة لتكاليف المعيشة الباهظة في المدن الكبرى، وظهرت المناطق العشوائية كردة فعل للتمهيش الاجتماعي. كما تحولت مُدن العمال إلى مناطق متدهورة عمرانياً لا تفي بمتطلبات الحياة الكريمة. هذه المدن تهدف إلى (استيعاب) السكان! عفواً (استيعاب) السكان وتسخيرهم لخدمة أرباب العمل لكي يزدادوا غنى! إنها كما وصفها Friedrich Engels عام 1845 «الحرب الاجتماعية

عندما أخذ لمحة سريعة على بعض المكتوبات في وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة تلك التي تخرج عن سياقات الأدب والأخلاق في الردود على من لديهم رأي مختلف من خلال توجيه سهام النقد الجارح أو المسيء، قد أتساءل: لماذا كل هذه السطوة الجديدة التي قد يتصور صاحبها أنها من صور الشجاعة أو النقد الجريء، ولكنها خرجت تماماً عن هذه الشجاعة ومجرد الرأي المختلف، وانتقلت إلى ضفة التجريح والتشكيك والإساءة العرقية أو الشخصية؟ وقد يجعلنا ذلك نرفع سؤالاً قد تكون إجاباته لا بد له أن تكون من خلال الدراسات الاستقصائية والعلمية: هل وسائط التواصل الاجتماعي ساعدت على هذه السطوة الجديدة الغربية، أم إن هذه التصرفات موجودة في واقعنا بنفس الوتيرة التي عليها في وسائل التواصل الاجتماعي؟ في أحد الحوارات اللطيفة مع أحد الأصدقاء وكنا نقاش هذه الفكرة تحديداً، أن هناك جرأة في الكتابة الالكترونية في المواقع المفتوحة كتيوتر والفيس بوك، وطرنا مثلاً أن بعض الحسابات التي قد يكون لديها الآلاف من المتابعات، وكثيراً ما كتبت شيئاً لاذعاً خارجاً عن سياق الأدب وعندما يكون في مجلس حقيقي مباشر وليس من خلال الوسائط الالكترونية، لنفترض مثلاً يضم عشرة أشخاص تجده مهذباً ولبس بتلك السطوة غير المنضبطة. طبعاً ناقشنا هذه الفكرة وتوقعت أسبابها ونتائجها كنوع من النقاش الودي. وفي الحقيقة أجد أن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسات استقصائية ونفسية بشكل علمي لنستطيع من خلالها الوقوف على مخرجات دقيقة وليست كمخرجات نقاشاتنا الودية أنا وصديقي العزيز.

أحد مظاهر هذه الإشكالية في وسائل التواصل الاجتماعي أن الجميع يستطيع أن يقول ما يشاء - ولا ضير في ذلك - ولكن ليس الجميع على قدرة جيدة في معرفة الحدود التي تقتف عندها حريتهم الشخصية في القول.

وقد تتضخم هذه الحرية غير المنضبطة بتجييش الآخرين تجاه الأشخاص من خلال الهاشتاقات وغيرها والانتقال بهم من حيز أنهم أشخاص أصحاب رأي مختلف أياً كانت حدة الاختلاف إلى أشخاص أصابتهم لوثة التخوين أو التقليل العرقي في شكل عنصري مقيت، سواء كان ذلك بوعي أو غير ذلك.

ومما يزيد التحقير في هذه المسألة أن هذه السطوة الجديدة لدى أصحابها يتم استخدامها وكأنها أداة قانونية للتطهير المجتمعي، وقد استحلوا بذلك أدوار الجهات الحكومية المسؤولة في ذلك رغم وجود قنوات اتصال رسمية يمكن من خلالها يتم التصحيح، ولكن أصبح الفضاء الالكتروني هو الملجأ الأول لمثل هذه التصرفات.

وقد أتفهم تلك الروح المندفعة في تصحيح الأمور لديهم كما يعتقدون، ولكن لا يقبل العقل والمنطق أن يكون الرأي المختلف هو بوابة العبور لتجريح صاحبه ولو كانت هذه الاندفاعات أو الهاشتاقات تجاه الأفكار والآراء التي يقولها أصحابها لقلنا عنها إنها حراك إيجابي في الرأي، ولكنها سرعان ما تكون بوابة للتقليل من الأشخاص، وما هكذا تورد الإبل يا سعد.

وهذا الخلط في عدم القدرة على التمييز بين مفهوم حرية التعبير والتعدي على حقوق الآخرين وحرياتهم، والذي يظهر في شكل أداة التطهير المجتمعي وتراكمه المستمر سيساهم في تقسيم وتصنيف الناس من خلال مبدأ إذنا ما تتوافق معي في الرأي فأنت ضدي، ويصبح هذه المبدأ البسيط المتهافت من أدوات التقسيم في المجتمع الذي كانت ولا زالت أجمل خصائصه تدور حول التنوع المجتمعي والاختلاف المعرفي.

كيفية التعامل والاحتواء حتى داخل النطاق الأسري؟

نعم لدينا نماذج من البر العجيب، ولدينا مشاكل وتقصير وإهمال حتى داخل الأسر، وأول طرق حلها الوعي بالمشكلة، وليس بالضرورة أن يكون ذلك عقوقاً بل ربما يكون جهلاً، فالاجتماع العائلي حول كبار السن لا يعني أن الأمور بخير، فالانشغال بالجوال وتجمع الأصغر سنناً للتسامر، لا يعني أننا نحتويهم!

حتى في طريقة متابعة ذوي الأمراض المزمنة، والحرص على تناولهم للغذاء الصحي قد نجرحهم، كتوجيه اللوم والانتقاد لهم ومنعهم عن ما يضرهم صحياً! أو تأنيبهم لعدم التزامهم بصنائح الطبيب، كل ذلك يحتاج لفن التعامل، ليس سهلاً ولا مستحيلاً، متى ما أدركنا أهمية بث الإحساس بالتقدير لهم والمجاملة حتى في الأحاديث المكررة، والصفح عن أخطائهم الماضية.

لسنا في مجتمع ملائكي فبعض كبار السن ربما أسأؤوا التصرف في مراحل سابقة في حياتهم، ولكل عائلة لها وضعها الأسري، لكن ترسيخ معاني الاحتواء والصفح والتقدير والاحترام أمر يحتاج مزيداً من الجهود، كل بحسب مجاله ودوره، بما في ذلك الإعلام الذي يجب أن يسلط الضوء على حاجات كبار السن.

كلنا سنكبر لو كتبت لنا الحياة الطويلة، لذلك ما نراه غير مهم سنعاني منه، انظر من منظورهم، لتفهم احتياجاتهم.

أختم: استثمر في شبابك بنمط حياة صحية بجودة تصنعها بنفسك لتجدها في كبرك، واصنع مساحتك الخاصة واهتماماتك لتوفر لك السكنية، لا تتعلق بأي منصب أو مكانة فكله سينزل يوماً ما. ولا تعلق راحتك وسعادتك بأي إنسان، بل بمدبر الأكون.

السطوة الجديدة في وسائل التواصل الاجتماعي

فهد عبدالله

@fahdabdullahz

فهد عبدالله